وعلوا لطولهم فاستوجبوا ان نعجل لهم عذابنا وانتقامنا وان لا نحلم عنهم وقرئ
سلفا جمع سالف كخادم وخدم وسُلُفا بضمتين جمع سليف اي فريق قد سلف وسُلَفا
جمع سُلفة اي ثلة قد سلفت ومعناه نجعلناهم قدوة للآخرين من الكفار يقتدون
بهم في استحقاق مثل عقابهم ونزوله بهم لاتيانهم بمثل افعالهم وحديثا عجيب الشان
سائرا مسير المثل يحدثون به ويقال لهم مثلكم مثل قوم فرعون لما قرا رسول الله صلى الله
عليه على قريش انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم امتعضوا من ذلك امتعاضا
شديدا فقال عبد الله بن الزبعرى يا محمد اخاصة لنا ولالهتنا ام لجميع الامم فقال عليه
السلام هو لكم ولالهتكم ولجميع الامم فقال خصمتك ورب الكعبة الست تزعم ان عيسى
بن مريم نبي وتثني عليه خيرا وعلى امه وقد علمت ان النصارى يعبدونهما وعزير يعبد
والملائكة يعبدون فان كان هؤلاء في النار فقد رضينا ان نكون نحن والهتنا معهم ففرحوا
وضحكوا وسكت النبي صلى الله عليه فانزل الله تعالى ان الذين سبقت لهم نزلت هذه الاية
والمعنى ولما ضرب عبد الله بن الزبعرى عيسى بن مريم مثلا وجادل رسول الله صلى الله عليه
بعبادة النصارى اياه اذا قومك قريش منه من هذا المثل يصدون ترتفع لهم جلبة وضجيج
فرحا وجذلا وضحكا بما سمعوا منه من اسكات رسول الله صلى الله عليه بجدله كما يرتفع
لغط القوم وجلبتهم اذا تعيوا بحجة ثم فتحت عليهم واما من قرا يصدون بالضم
فمن الصدود اي من اجل هذا المثل يصدون عن الحق ويعرضون عنه وقيل من الصديد وهو
الجلبة وانهما لغتان نحو يعكف ويعكف ونظائر لها وقالوا الهتنا خير ام هو يعنون ان
الهتنا عندك ليست بخير من عيسى فاذا كان عيسى من حصب النار كان امر الهتنا هينا ما
ضربوه اي ما ضربوا هذا المثل لك الا جدلا الا لاجل الجدل والغلبة في القول لا لطلب الميز بين
الحق والباطل بل هم قوم خصمون لد شداد الخصومة دابهم اللجاج كقوله قوما لدا
وذلك ان قوله تعالى انكم وما تعبدون ما اريد به الا الاصنام وكذلك قوله عليه
السلام هو لكم ولالهتكم ولجميع الامم انما قصد به الاصنام ومحال ان يقصد الانبياء والملائكة
الا ان ابن الزبعرى بخبثه وخداعه وخبث دخلته لما راى كلام الله ورسوله محتملا

يحتملا لفظه وجه العموم مع علمه بان المراد به اصنامهم لا غير وجد للجدلة مساغا
فصرف معناه الى الشمول والاحاطة بكل معبود غير الله على طريقة اللحك والجدال وحب
المغالبة والمكابرة وتوقح في ذلك وتوقر رسول الله حتى اجاب عنه ربه ان الذين سبقت
لهم منا الحسنى فدل به على ان الاية خاصة في الاصنام على ان ظاهر قوله وما تعبدون لغير
العقلاء وقيل لما سمعوا قوله ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم قالوا نحن اهدى من النصارى
لانهم عبدوا ادميا ونحن نعبد الملائكة فنزلت وقوله الهتنا خير ام هو على هذا القول
تفضيل لالهتهم على عيسى لان المراد بهم الملائكة وما ضربوه لك الا جدلا معناه وما
قالوا هذا القول يعني الهتنا خير ام هو الا للجدل وقرئ الهتنا خير باثبات همزة
الاستفهام وباسقاطها لدلالة ام العديلة عليها وفي حرف ابن مسعود خير ام هذا
ويجوز ان يكون جدلا حالا اي جدلين وقيل لما نزلت ان مثل عيسى عند الله قالوا ما يريد
محمد بهذا الا ان نعبده وانه يستاهل ان يعبد وان كان بشرا كما عبدت النصارى
المسيح وهو بشر ومعنى يصدون يضجون ويضجرون والضمير في ام هو لمحمد صلى الله عليه
وغرضهم بالموازنة بينه وبين الهتهم السخرية به والاستهزاء ويجوز ان يقولوا لما انكر
عليهم قولهم الملائكة بنات الله وعبدوهم ما قلنا بدعا من القول ولا فعلنا نكرا من الفعل
فان النصارى جعلوا المسيح ابن الله وعبدوه ونحن اشف منهم قولا وفعلا فانا نسبنا
اليه الملائكة وهم نسبوا اليه الاناسي فقيل لهم مذهب النصارى شرك بالله ومذهبكم
شرك مثله وما تنصلكم مما انتم عليه بما اوردتموه الا قياس باطل بباطل وما عيسى الا
عبد كسائر العبيد انعمنا عليه حيث جعلناه اية بان خلقناه من غير سبب كما خلقنا
ادم وشرفناه بالنبوة وصيرناه عبرة عجيبة كالمثل السائر لبني اسرائيل ولو نشاء
لقدرتنا على عجائب الامور وبدائع الفطر لجعلنا منكم لولدنا منكم يا رجال ملائكة
يخلفونكم في الارض كما يخلفكم اولادكم كما ولدنا عيسى من انثى من غير فحل لتعرفوا
تميزنا بالقدرة الباهرة ولتعلموا ان الملائكة اجسام لا تتولد الا من اجسام وذات
القديم متعالية عن ذلك وانه وان عيسى لعلم للساعة اي شرط من اشراطها

Copyright © King Saud University